جامعةالعربي بن مهيدي أم البواقي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية مقياس: المشرق الإسلامي

محاضرة أكاديمية

الدولة الأموية : فترة الضعف – قراءة في أسباب سقوطها

(64 هـ / 684م — 132 هـ / 750م)

موجَّهة إلى طلبة السنة الثانية ليسانس — تخصص: تاريخ

إعداد هوشات سامي

السنة الجامعية: 2025 / 2026

مقدمة

تُمثّل مرحلة ضعف الدولة الأموية وانهيارها إحدى أبرز المنعطفات في تاريخ الحضارة الإسلامية؛ إذ شهدت هذه المرحلة تحولات جذرية أثّرت في البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية للخلافة الإسلامية. ولفهم هذا الانهيار ينبغي استيعاب التناقضات الداخلية والضغوط الخارجية التي تراكمت منذ مطلع القرن الثاني الهجري، وأفضت في نهاية المطاف إلى سقوط الدولة عام 132هـ/750م على يد الحركة العباسية.

أولاً: لمحة عامة عن الدولة الأموية

أسّس معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الدولة الأموية عام 41هـ/661م، بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة. وقد امتدت هذه الدولة نحو تسعة عقود حكم فيها أربعة عشر خليفة، وبلغت ذروة قوتها في عهد الوليد بن عبد الملك (86–96هـ) حين وصلت الفتوحات إلى الأندلس غرباً وما وراء النهر شرقاً.

1 . الخلفاء الأمويون وأبرز مراحل الدولة

الرقم	الخليفة	الفترة (هـ)
1	معاوية بن أبي سفيان	41 – 60 هـ
2	يزيد بن معاوية	60 – 64 هـ
3	معاوية بن يزيد	64 هـ
4	مروان بن الحكم	64 – 65 هـ
5	عبد الملك بن مروان	65 – 86 هـ
6	الوليد بن عبد الملك	86 – 96 هـ
7	سليمان بن عبد الملك	96 – 99 هـ
8	عمر بن عبد العزيز	99 – 101 هـ
9	يزيد بن عبد الملك	101 – 105 هـ
10	هشام بن عبد الملك	105 – 125 هـ
11	الوليد بن يزيد	125 – 126 هـ
12	يزيد بن الوليد (الناقص)	126 هـ
13	إبراهيم بن الوليد	126 – 127 هـ
14	مروان بن محمد (الجعدي)	127 – 132 هـ

ثانياً: مرحلة الضعف الأموي (105 – 132 هـ)

يرى أغلب المؤرخين أن بوادر الضعف بدأت تتجلّى منذ وفاة هشام بن عبد الملك (125هـ)، غير أن جذورها تعود إلى نهاية عهد عبد الملك بن مروان واتساع رقعة الدولة دون تطوير مقابل في أجهزة الإدارة والحكم.

1 . عهد الوليد بن يزيد (125 – 126 هـ): بداية الانهيار الحُلُقي

عُرف الوليد بن يزيد بالانغماس في الملذات وإهمال شؤون الدولة، مما أفقد الخلافة هيبتها لدى القادة والرعية على حدٍّ سواء. وقد أُثيرت في عهده مواجهات مع أبناء عمومته القيسية، وانتهى حكمه باغتياله على يد اليمانية والمضرية المتحالفة معاً.

2. عهد يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد (126 – 127 هـ): التلاحق الحكومي

شهدت هذه المرحلة تعاقب خليفتين خلال سنة واحدة، مما يكشف عمق الأزمة السياسية. فقد لقّب يزيد بـ"الناقص" لأنه نقص العطاء، في حين لم يحظَ إبراهيم بطاعة جيوش الشام المُتفرّقة.

3. عهد مروان بن محمد (127 – 132 هـ): آخر الخلفاء

سعى مروان بن محمد إلى إعادة توحيد الدولة بقوة السلاح، ونقل عاصمة الخلافة من دمشق إلى حرّان في الجزيرة الفراتية. إلا أن ذلك أبعده عن قلب الدولة، وأثار نقمة الدمشقيين، فضلاً عن تحديات الثورة العباسية المتنامية في الشرق.

◄ ملاحظة منهجية: يجب على الطالب التمييز بين أسباب الضعف البنيوية المتراكمة وبين المُحفِّزات الآنية التي عجّلت بالسقوط.

ثالثاً: أسباب سقوط الدولة الأموية

يمكن تصنيف أسباب السقوط في خمسة محاور رئيسية متشابكة ومتداخلة:

المحور الأول: الأزمة السياسية الداخلية

أ. التنازع على الخلافة والصراعات القبلية

عانت الدولة الأموية منذ بدايتها من إشكالية الشرعية السياسية؛ إذ رفض كثير من المسلمين مبدأ الوراثة الملكية الذي كرّسه معاوية حين ولّى ابنه يزيد العهد. وتحوّل هذا الرفض إلى صراع مفتوح في الفترة الأخيرة حين تناوب القيسيون واليمانيون على اغتيال الخلفاء وتنصيبهم.

◄ القيسيون: قبائل شمال الجزيرة ربيعة ومضر، حليفة المروانيين في البداية.

◄ اليمانيون: قبائل اليمن (كلب وغسان)، وكانوا دعامة معاوية ثم انقلبوا ضد أحفاده.

◄ أفضت هذه الصراعات إلى تآكل القدرة العسكرية وشلّ قرار الدولة المركزي.

ب. غياب نظام واضح لتوارث الحكم

لم يُؤسَّس نظام مُقنَّن لتوارث الخلافة؛ فكان كل خليفة يعيّن وليّ عهد وفق اعتبارات القوة والتحالفات القبلية، مما فتح الباب أمام المنافسات الدامية، لا سيما حين تعدّدت الأحفاد والأمراء الطامحون.

المحور الثاني: التناقضات الاجتماعية والتمييز بين المسلمين

تُعدّ القضية الاجتماعية من أعمق أسباب الأزمة الأموية، وتتجلى في ظاهرة الموالي وسياسة التعريب.

أ. ظاهرة الموالي وسياسة التمييز

كان الموالي (المسلمون الجدد من الفرس والأتراك والبربر وغيرهم) يُعانون من تمييز صريح في توزيع الغنائم والعطاء والمناصب الإدارية، رغم مساهمتهم البارزة في الفتوحات والإنتاج الاقتصادي. أفرز هذا الواقع احتقاناً اجتماعياً عميقاً تجلّى في:

- الشعوبية: حركة فكرية – اجتماعية أبدى فيها الموالي رفضهم للامتيازات العربية.
- التحاق كثير من الموالي بالحركة العباسية التي نادت بالمساواة الإسلامية.
- ثورة الجنود الخراسانيين بقيادة أبي مسلم الخراساني كانت في جوهرها ثورة الموالي ضد التمييز.

ب. إشكالية أهل الذمة والضرائب

فرضت الإدارة الأموية ضرائب على غير المسلمين (الجزية والخراج)، وحين أسلم كثيرون منهم استمر تحصيل هذه الضرائب بحجة "انتماء الأرض وليس الشخص"، مما رسّخ الشعور بالظلم وأفقد الدولة مصداقيتها الدينية.

المحور الثالث: الأزمة الاقتصادية

أسهمت الأزمة الاقتصادية في تسريع الانهيار من خلال عدة مسارات متوازية:

- توقف الفتوحات: أدى توقف الفتوحات الكبرى بعد عهد الوليد الأول إلى جفاف منابع الغنائم التي كانت تُغذّي الخزينة وتُرضي القادة العسكريين.
- الإنفاق المُبدِّد: أنفق الخلفاء المتأخرون مبالغ طائلة على القصور والمجالس والحاشية دون استثمار في البنية التحتية.
- الأزمات المناخية: أفضت موجات الجفاف والأوبئة في فترة 127–132هـ إلى نقص في الإنتاج الزراعي ونزوح سكاني في العراق والشام.
- ثقل الجهاز البيروقراطي: تضخّم الديوان الأموي وارتفعت تكاليفه في ظل تراجع الإيرادات.

المحور الرابع: المعارضة الدينية والفكرية

أ. الحركة الشيعية

لم تتوقف المعارضة الشيعية منذ مقتل الحسين رضي الله عنه في كربلاء عام 61هـ؛ إذ شكّلت هذه الفاجعة جرحاً نازفاً في وجدان المسلمين. وقد تعاقبت الثورات الشيعية: ثورة التوابين (65هـ)، ثورة المختار الثقفي (66هـ)، وثورة زيد بن علي (122هـ)، وكلها وإن أُخمدت عسكرياً إلا أنها استنزفت موارد الدولة وصورتها.

ب. حركة الخوارج

استمر الخوارج يُشكّلون تهديداً دائماً لاستقرار الدولة الأموية، لا سيما في العراق وسجستان وجزيرة العرب. وقد تطلّب قمع ثوراتهم المتكررة إرسال حملات عسكرية مُكلفة تصرف الجيش عن التصدي للتحديات الأكبر.

ج. النقد الديني والاجتماعي لسلوك الخلفاء

أبدى كثير من العلماء والفقهاء نقداً صريحاً لسلوك الخلفاء المتأخرين، وأثّر ذلك في الرأي العام وأضعف الالتزام الأخلاقي بطاعة الحكام. وكان موقف الإمام الزهري وغيره من كبار العلماء مؤشراً على هذه الأزمة المشروعية.

المحور الخامس: الثورة العباسية (129 – 132 هـ)

تُعدّ الحركة العباسية المحفِّز الأساسي المباشر للسقوط، وإن كانت هي ذاتها نتاج تراكم كل العوامل السابقة:

أ. منطلقات الثورة العباسية

◄ الشرعية الدينية: ادّعاء العباسيين الانتماء إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم عبر العباس بن عبد المطلب.

◄ قاعدة خراسان: اتخاذ الثورة من خراسان معقلاً لها، حيث الموالي الساخطون والمظالم الاقتصادية المتراكمة.

◄ الدعاية السرية: نشاط الدعاة العباسيين (النقباء) لعقود قبل الثورة المسلحة في شبكة تنظيمية محكمة.

◄ قيادة أبي مسلم الخراساني: تمثّل قيادته النبوغ التنظيمي والعسكري للثورة ابتداءً من عام 129هـ.

ب. مسار الثورة وسقوط الدولة

رفع أبو مسلم الخراساني الرايات السود شعاراً للثورة في مرو عام 129هـ، وسرعان ما انضم إليه جيش كبير. وتوالت الانتصارات العباسية حتى كانت معركة الزاب الكبرى (132هـ/750م) الفاصلة؛ إذ هُزم فيها مروان بن محمد وفرّ إلى مصر حيث لقي حتفه. وبذلك أُسدل الستار على الحكم الأموي في المشرق.

◄ للتعمق: يُنظر في كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه، وكتاب "أخبار الدولة العباسية" المجهول المؤلف، وكتاب "البداية والنهاية" لابن كثير...

رابعاً: الأبعاد الجغرافية والإدارية للضعف

اتّسمت الدولة الأموية في مرحلة ضعفها بجملة من الإشكاليات الجغرافية والإدارية:

الإشكالية الأولى: ◄ اتساع الرقعة الجغرافية: من الأندلس إلى الصين، مما جعل السيطرة المركزية أمراً عسيراً في ظل بدائية وسائل الاتصال والنقل.

الإشكالية الثانية: ◄ ثقافية الأقاليم: تمايزت الأقاليم المفتوحة ثقافياً ودينياً، فالعراق وإيران اختلفت طبيعتهما عن الشام والأندلس اختلافاً جذرياً.

الإشكالية الثالثة: ◄ تمركز القوة في الشام: ربط الأمويون مصير دولتهم بالقبائل الشامية، ولما فقدوا ولاءها نهائياً (إثر الصراعات القيسية–اليمانية) انهارت قوتهم العسكرية.

الإشكالية الرابعة: ◄ التحديات في الأطراف: المغرب العربي مع ثورة البربر (122هـ)، والهند، وآسيا الوسطى كانت تُشكّل جبهات متعددة مُستنزِفة للموارد.

خامساً: تداعيات السقوط على التاريخ الإسلامي

أسفر سقوط الدولة الأموية عن تحولات عميقة في مسار التاريخ الإسلامي:

◄ انتقال مركز الثقل: تحوّل مركز الثقل السياسي والحضاري من الشام إلى العراق (بغداد لاحقاً)، مما منح الحضارة الفارسية نفوذاً أكبر في الثقافة الإسلامية.

◄ صمود الأمويين في الأندلس: استطاع عبد الرحمن الداخل (الصقر القرشي) تأسيس إمارة أموية في الأندلس عام 138هـ، مستمدة شرعيتها من المظلومية الأموية.

◄ تطور مفهوم الخلافة: انتقل الحكم من نموذج يتكئ على القبيلة إلى نموذج يستند إلى الشرعية الدينية والبيروقراطية الفارسية في العهد العباسي.

◄ ازدهار حركة التدوين: أفرز التحول السياسي حاجة ماسة إلى توثيق التراث، فاتسعت حركة تدوين الحديث والفقه والتاريخ في العهد العباسي الأول.

سادساً: قراءة تحليلية مقارنة

يذهب المؤرخ إبن خلدون في مقدمته إلى أن الدول تمرّ بدورة حضارية تبدأ بالتأسيس والقوة، ثم تصل إلى الذروة، ثم تنحدر نحو الضعف والسقوط. وتُعدّ الدولة الأموية نموذجاً كلاسيكياً لهذه الدورة، غير أن خصوصية تجربتها تكمن في:

◄ الجمع بين الشرعية الدينية الإسلامية والممارسة الملكية القبلية، مما خلق توتراً بنيوياً دائماً.

◄ الاعتماد على عنصر قبلي–إثني واحد (العرب) لإدارة دولة متعددة الثقافات، دون تطوير آلية اندماج فعّالة.

◄ غياب مؤسسات وسيطة (كالقضاء المستقل أو الشورى المُقنَّنة) تُعادل السلطة المطلقة للخليفة وتُوفر استقراراً مؤسساتياً.

خاتمة

إن سقوط الدولة الأموية لم يكن حادثة عارضة أو نتيجة مؤامرة عباسية وحسب، بل كان محصّلة طبيعية لتراكم أزمات بنيوية متشعبة: سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية. ويبقى الدرس الأهم الذي يمكن استخلاصه أن الدول التي تُهمل مبدأ العدالة الاجتماعية وتعتمد التمييز بين رعاياها تفقد الحاضنة الشعبية التي هي مصدر قوتها الحقيقي، وتكون قد زرعت بذور انهيارها بأيديها.

ويدعو المؤرخ المنهجي إلى الحذر من قراءة هذا السقوط عبر منظور أحادي الرؤية سواء أكان دينياً محضاً أم مادياً صِرفاً، بل ينبغي دمج المناهج المختلفة: السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى المناخية، للوصول إلى فهم أكثر شمولية ودقة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

◄ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، 1963.

◄ ابن الأثير، عز الدين. الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، 1965.

◄ البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان. تحقيق: عبد الله أنيس الطباع. بيروت: مؤسسة المعارف، 1987.

◄ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي. بيروت: دار صادر، د.ت.

◄ ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة. تحقيق: علي عبد الواحد وافي. القاهرة: دار النهضة، 1981.

ثانياً: المراجع الحديثة

◄ العلي، صالح أحمد. التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة. بغداد: مطبعة المعاني، 1953.

◄ شاكر، محمود. التاريخ الإسلامي (الجزء الخامس: العصر الأموي). بيروت: المكتب الإسلامي، 2003.

◄ حتي، فيليب. تاريخ العرب. ترجمة: إدوار جرجي وجبرائيل جبور. بيروت: دار الكشاف، 1965.

◄ كيانى، مصطفى. الثورة العباسية ودورها في تحويل مسار التاريخ الإسلامي. القاهرة: دار الفكر العربي، 1990.